اللغة العربية والأمن اللغوي والثقافي

هدى صبحي أبو غنيمة

إطلالة الرؤية:

لعل أبرز التحديات، التي تواجه لغتنا العربية في عصر العولمة، واتساع آفاق الفكر والمعرفة والاقتصاد هو عزوف أبنائها عن التحدث بلسان عربي مبين. وشيوع العاميّة في أسلوب التواصل اليومي، أو الاستعلاء على العربية بالتحدث باللغات الأجنبية، والإنجليزية خاصة، واتخاذها مثالاً لمن يتطلع إلى مكانة اجتماعية مرموقة مما أثر على المجتمعات العربية تأثيراً سلبياً في الفكر والسلوك. يقول المفكر الألماني فيخته: "إن اللغة التي ترافق المرء وتحركه حتى أعمق أغوار تفكيره وإرادته، هي التي تجعل (من الناطقين بها) مجتمعاً متماسكاً يديره عقل واحد.

فالذين يتكلمون لغة واحدة، يؤلفون من أنفسهم كتلة موحدة ربطت الطبيعة بين أجزائها بروابط متينة، وإن كنا لا نراها. إن الحدود التي تستحق أن تسمى حدوداً طبيعية بين الشعوب، هي التي ترسمها اللغات".

لقد أجمعت الدراسات والتجارب على أن التمكن من اللغة الأم يساعد على النمو الفكري والمعرفي، فإذا ارتقت اللغة ارتقى الفكر، وإذا ارتقى الفكر ارتقت اللغة. فكيف تكون العربية "كلمة طيبة" حيناً و "كلمة خبيثة" حيناً آخر؟(١).

ولماذا تكون اللغة واحدة والناطقون بها "أمماً شتى؟"(٢). "ولماذا نتواصل باللغة فنتفق، ونتواصل باللغة فنختلف"؟(٣). إننا من خلال رصدنا لدلالات الألفاظ العامية الشائعة في مجتمعاتنا العربية، نستطيع تكوين صورة واضحة عن الحياة الحسيّة والنفسيّة، التي يحياها معظم الناس. ومستوى الحياة الفكريّة والاجتماعيّة.

ولعل الجاحظ بثقافته الموسوعية عبر أصدق تعبير عن طاقات اللغة وأثرها في المجتمع: باعتبارها (العلامة الفارقة بين الإنسان وسائر الحيوان، وهي واسطة عقد الاجتماع الإنساني، ووعاء الاختبار الحضاري، والفطن الإنسانية) حينما قال "فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه، ومنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة"(٤).

فهل جفّت القلوب، وعقمت العقول، وغابت المروءة لأنها جافت لغتها وتنكرت لها؟.

اللغة، والتحولات الحضارية:

لما كانت اللغة أداة التواصل بين البشر، وأداة التفكير والتعبير عن مشاعرهم وآرائهم، فإن اللغة تتأثر تأثراً كبيراً بالتحولات الحضارية. "إن مثل الالفاظ في اللغة، كمثل المخلوقات الحيّة في الطبيعة. فكما أن هذه المخلوقات خاضعة لقوانين خاصة: مثل تنازع البقاء أو التطور أو الانتخاب الطبيعي، أو غير ذلك من القوانين، فكذلك الألفاظ فإنها خاضعة لقوانين تشابهها، فلها حياتها الخاصة. إنها تولد فتعيش وتموت"(٥). وتنتقل عبر الأجيال من معنى عام إلى معنى خاص، وقد ترقى في مواضع وتبتذل في مواضع أخرى. وكل ذلك محمول على الاستعمال فهو يرّقيها وهو يحطّها "لقد نشأت لغتنا في البادية، فكانت لها خشونة تلك البادية، ثم انتقلت إلى الحضر، فكان لها رقة هذا الحضر فهجرت الألفاظ الجافيّة مثل: الهِلْقِس وهو الرديء الأخلاق، والهِجْرِس وهو اللئيم، والدُّعشوقة للصبيّة"(٦) واستعاضت عنها بألفاظ تناسب بيئة الحضر ورقتهم. وارتبطت عصور الازدهار الحضاري بالرقي الفكري واللغوي، وكان للغة الفضل الكبير في الحفاظ على جذوة المعرفة الإنسانيّة، وفي دفع عجلة التقدم ونشر نور العلم على آفاق واسعة من الكون.

فهل تمثل العولمة تحدياً حقيقياً للعربية في قدرتها على البقاء والاستمرار، بعد أن أصبح عصر العولمة يهدد كثيراً من اللغات بالموت؟

وكأنما أصبح هذا السؤال العالمي في الوقت الراهن- كما يرسله الباحثون مثل

السيد ياسين – هو: "هل ستنقرض اللغات القومية أمام سيطرة اللغة الإنجليزية على شبكة الإنترنت وخصوصاً بعد أن أصبحت لغة البحث والتخاطب في المؤتمرات العالمية؟"(٧).

مما لا مراء فيه أن العلاقة بين العربية والقرآن الكريم الذي أنزل على نبينا، بلسان عربي مبين، تجعل السؤال المصيري الذي تواجهه العربية في عصر العولمة لا لزوم له كما جاء في القرآن الكريم " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا وله لحافظون"

(لكن الفرق الجوهري بين القرآن، الذي هو إلهي مقدس والعربية من كلام العرب، وغير العرب من الناطقين بها ليست مقدسة بإطلاق كما يذهب بعضهم من حمل قدراتها على قداسة الوحي جزافاً، إذ نجد في أيامنا هذه من يحفظ القرآن، ويرتله على وفق أصول التلاوة، وأحسن ما يؤديه قارئ، وهو مع ذلك لا يفهمه، ... فقد كانت العربية لسان الزنا دقة وأهل المجون، ولسان الجاهلية) (٨).

وفي مقدمة معجم لسان العرب، لابن منظور ما يشير إلى ما تعرضت له اللغة من أحوال مشابهه للتحولات الحضارية في المجتمع العربي مما دعاه إلى القول: "فإنني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية، وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنّة النبويّة؛ ولأن العالم بغوامضها يعلمُ ما توافق فيه النيّةُ اللسان ويخالف فيه اللسانُ النيّة، وذلك لما رأيته قد غلب في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان حتى لقد أصبح اللحن في الكلام يُعدُّ لحناً مردوداً، وصار النطق بالعربيّة من المعايب معدوداً. وتنافس الناس في تصانيف الترجمانات في اللغة الأعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية فجمعت هذا الكتاب في زمن أهله بغير لغته يفتخرون ....." (٩).

لقد كان انتشار الإسلام عاملاً رئيساً في انتشار العربية، وما وصفه ابن منظور من حال العربية في زماننا يترجم عن تقلب الأحوال بالعربية في زماننا. ويشير ابن خلدون في المقدمة التي تعتبر من أسس علم الاجتماع في العالم إلى الأحوال قائلاً: "فلمّا تملك العجم من الديلم والسلجوقيّة بعدهم بالمشرق، وزناته والبربر بالمغرب وصار لهم المُلك، والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنّة اللذين بهما حفظ الدين"(١٠) .

(لقد بقيت العُروة الوثقى بين الإسلام والعربية هي الحمى الذي يلوذ به أهل العربية حفاظاً عليها قديماً وحديثاً. في مواجهة الفرنسة في الجزائر، وكان حجة للثورة العربية على التتريك في العصر الحديث، إذ جاء في منشور الثورة العربية الكبرى الأول في ٢٦ حزيران سنة ١٩١٦ "وأما ما خصوا× به العرب ولغتهم من الاضطهاد، فهو أعظم ما جنوه على الدين والدولة من الفساد. حاولوا قتل اللغة العربيّة في جميع الولايات العثمانية بإبطالها من المدارس ومن الدواوين والمحاكم، وأصدروا في ذلك أوامر كثيرة لقيت من مبعوثي العرب معارضات شديدة، ونفّروا عنها في كتبهم الجديدة. وألفّوا لذلك الجمعيّات الكثيرة، ولا يخفى أن قتلَ العربية قتل للإسلام نفسه (١١).

ولكن اقتران العربية بالإسلام في التاريخ، قد اتخذ بعداً إضافياً، اقتصادياً وذلك أن انتشار الإسلام على يد التجار في أصقاع نائية كأرخبيل الملايو وأنحاء أخر قد هيأ للعربية امتداداً في لغات شتى وهو امتداد يشير إليه سابير Sapir إذ يقرر في كتابه (اللغة- مقدمة لدراسة الكلام)،

أنها تغلغلت في معاجم اللغات الأخرى وهي مزيّة لم تكن أتيحت للإنجليزية حتى زمانه (مطلع القرن الماضي) وهو زمن امتداد الإمبراطورية البريطانية(١٢). فهل نستطيع أن نقول: إن حضارة الإنسان العربي قد بدأت من لغته إثر نزول القرآن الكريم؟

اللغة بين حضارة اللفظ وحضارة الأداء:

اكتسبت اللغة دلالات خاصة ومجازية، بعد نزول القرآن الكريم. فقد أصبحت عنصراً فاعلاً في التكوين الأخلاقي والفكري للإنسان العربي، إذ نقلته حضارياً من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء، ومن المجال الحِسّي إلى أفق وجداني وفكري أوسع من بيئته، التي لم يطرأ عليها تحول كبير، يؤيد ذلك ما قاله ابن فارس "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائنا في لغاتهم وآدابهم، ونسائهم وقرابينهم. فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شُرّعت، وشرائط شرّطت فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن من الأمان والإيمان، وهو التصديق....." (١٣).

لقد أضافت معاني القرآن الكريم للغة وظيفة أخلاقية وارتقت بفكر الإنسان العربي فقد توحدت لهجات العرب المختلفة

وتوحدت عقولهم ومشاعرهم، وبدأت نهضتهم من الظلمات إلى النور "فاهتموا بدراسة موضوع دلالة الألفاظ والعبارات دراسة منطقية، لتحديد معاني النصوص الدينيّة، فكانت هذه بداية البحث في منطق اللغة عامة "لأن استنباط الأحكام من النصوص، منوط في كثير من الأحيان بتحديد الرأي في فهم المسائل اللغوية" (١٤).

لقد تجلّى أثر ذلك كله في التحول عن اللفظ المستكره والمجافي للذوق، وحسبنا النظر في أثر دلالات تحية الإسلام ...."السلام عليكم ورحمة الله" في نفس الإنسان العربي لندرك أبجديات رسالة السلام والعدل والحرية التي حملها العرب إلى الإنسانية، ولعلنا نجد في أدب الجاحظ ما نستطيع أن نطلق عليه رؤى لامعة من علم اللغة الاجتماعي، فقد عبر الجاحظ عن حضارة عصره في المجتمع العباسي في أزهى عصور الحضارة، وقد استمد من المحيط الاجتماعي مادة ثريّة، ومعلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية، التي اندمج فيها وعاينها في آن واحد بعين مثقف موسوعي واقعي، فرصد أثر التحولات الهائلة والأحداث التي شهدها المجتمع العباسي مبرزاً مرونة اللغة وطواعيتها وطاقاتها وقدرتها على مرافقة تلك التحولات، فنرى أنها لانت و "اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة، فاختاروا أحسنها سمعاً، وألطفها من القلب موقعاً؛ وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأشرفها" (١٥).

(وكان لامتزاج ثقافات الأجناس المتعددة في البصرة أن نشطت الحياة العقليّة فيها نشاطاً مبكراً، وأخذ المسلمون من تلك الثقافات، ما واءم دينهم وعقيدتهم واستطاعت الثقافة العربية الإسلامية، استيعاب تلك الثقافات، ومزجها، وتمثلها داخل منظومتها الفكرية بعد طرح ما خالف أصولها. وقد أتاحت الحركة التجارية للبصريين أن يتنقلوا بين الأقطار المختلفة، فيتصلوا بشتى الثقافات، ويشهدوا مختلف الحضارات، فتتسع مداركهم وآفاقهم الفكرية (١٦).

وقد أشار الجاحظ في البيان والتبيين إلى طواعية اللغة العربية ومرونتها، وإلى الفروق بين كلام الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء وإلى كلام المّولدين والبلديين قائلاً: "ومتى سمعت – حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها، فإنك إن غيّرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضلٌ كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام، ومُلحة من مُلَح الحُشوُة والطَّغام، فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخيَّر لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سَريّاً، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها، ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريدت له، ويذهب استطابتهم إياها، واستملاحهم لها" (١٧).

قد يكون الجاحظ من أكثر المترسلين الذين وعوا العلاقة بين البنية اللغوية، والمستويات الاجتماعيّة للمتكلمين مدركاً متطلبات عصره وذوقه.

"ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجَهْورة والتضخيم. وأقبحُ من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة، وبقرب مجامع الأسواق (١٨).

رغم إدراك الجاحظ لتباين المستويات اللغوية بارتباطها بالمستوى الاجتماعي إلا أنه يرى أن، اللغة الفصيحة هي المثال الذي يرفع من منزلة اللغة لا سيما أن اللغة الفصيحة كانت تبوئ العالم بها مكانة اجتماعية متميزة، وتقربه من أهل السلطة والخاصة من الناس فيعود ويقول رغم قبوله للغة العاميّة في بعض المواقف: "إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق، ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للّسان ولا أجود تقويماً للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا، إلا أني أزعم أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني. وقد يحتاج إلى السخيف في بعض المواضع، وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ والشريف الكريم من المعاني..." (١٩).

لقد تعرضت العربية إلى أحوال تشبه أحوال عصرنا حتى في عصور الازدهار، والتنوع الثقافي، والديمغرافي وبقيت قادرة على اكتساب دلالات جديدة بالعلوم والمعارف. "فاللغة ليست كينونة مغلقة ولا جزيرة معزولة – كما يقولون– ذلك أنها تتمظهر على ألسنة الناطقين بها ويتحقق وجودها الفعلي بهم، وتعرف بهم ويعرفون بها، فتكون رمزاً للهُوّيةٌ، ..... وهي تتقلّب وفقاً لأحوالهم، وشروط حياتهم، تتوهج وتخبو وفاقاً لأحوالهم، وترقى وتسفل وفقاً لمواصفاتهم وأوضاعهم فهي مَجْمَع الأضداد بها يتوادّون ويتراحمون،

وبها يتناكرون ويتباغضون فهي – في ذاتها- محايدة؛ إذ تكون رابطة جامعة لقلوب الناطقين بها، وتكون أداة للآخرين في حربهم النفسيّة وغسل أدمغة الناطقين بها" (٢٠).

أترى هل يكفي أن نعتدّ بقدرة اللغة على مواكبة التطور السريع في عالم اليوم، وفي واقع الاستلاب الحضاري، وتصدر الاقتصاد، وثقافة المنفعة لصالح مركزية القطب العالمي الأوحد؟

هل نظل نطلق صيحات التحذير من خطر العولمة على لغتنا وهويتنا؟ هذه الصيحات التي ملأت المؤتمرات والمنتديات، وتقنيّات الاتصال ووسائل الإعلام.

أم أننا نواجه الاختبار الحضاري الذي نمر به؟ بالانتقال من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء الأمر الذي يساعدنا على النهوض الحضاري لتحقيق الأمن اللغوي والثقافي من موقع المشاركة في المشهد الإنساني مُنتجين مؤثرين لا مستهلكين ومتلقين.

العربيّة والأمن اللغوي والثقافي:

إذا كان الارتقاء بتعليم العربية وطرائق استخدامها، والاهتمام بها بنفس مستوى الاهتمام باللغات الأخرى هدفاً جليلاً، فإن حمايتها هدف له الأولويّة باعتبارها رمزاً للهُوّية العربية التي لا تُعني الانكفاء على الذات ورفض ثقافات الآخرين، بل تُعني التواصل من منطلق الثقة بالنفس، والتميّز في تعزيز التواصل بين النخبة المفكرّة، والكثرة العاملة المنتجة.

لقد اتسعت دراسات علوم اللغة في عصرنا لاسيما علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي واللغة الإعلامية واللغة الاقتصادية، والتقنية، ولغة الإعلام التجاري مما يضيف إلى الرؤى اللامعة في تراثنا آفاقاً جديدة. يقول نعوم تشومسكي Noam Chomesky: "إن أكثر الناس يعرّفون اللغة، بأنها وسيلة للتواصل بين البشر وأنها تطورت وتفرعت إلى آلاف اللغات؛ لتؤدي تلك الوظيفة الأساسية، لكنّ هذا مجرد خطأ شائع؛ صحيح أننا استخدما اللغة في التواصل بعضاً مع بعض وهي بلا شك فائدة عظيمة، لكنها ليست ما يميز اللغة، ولا ما يمكن أن يصفها وصفاً علمياً دقيقاً. فاللغات بالأساس طبقاً لتشومسكي، وسيلة للتعبير عن الأفكار، ولخلق الأفكار أيضاً أي ان استخدامنا للغة بعينها (كالعربية مثلاً) يؤثر على الطريقة، التي نبني بها أفكارنا وينعكس ذلك على واقعنا بشكل مادي ملموس ومباشر"(٢١).

(ويرى الباحث الأمريكي Keith Chen في ورقة قدمها في جامعة ييل الأمريكية عام ٢٠١٣ (أن اللغة التي نتحدث بها تحدث الفرق ليس على مستوى السلوك الشخصي فحسب، ولكن أيضاً على مستوى الاقتصاد بالنسبة للدول.

يفرّق Chin (تشين) في بداية بحثه بين نوعين من اللغات: الأولى هي اللغات المستقبليّة، أي اللغات التي يفرّق أصحابها في حديثهم عادة بين الحاضر والمستقبل فيقال "سوف أزور والدتي غداً" ومن هذه اللغات العربيّة، والإنجليزية، واليونانيّة والإيطالية والروسيّة. أما النوع الثاني، فهو اللغات غير المستقبليّة، وهي التي يتكلم متحدثوها عن المستقبل عادة بصيغة الحاضر نفسها ومنها: الألمانيّة والفنلندية والصينية فتقول: مثلاً: "أزور والدتي غداً".

هذا الفرق الضئيل في طريقة تركيب الجملة بين لغة وأخرى يتسبب بتباينات ملحوظة بالمقارنة مع البلاد التي تتحدث لغات مستقبليّة، وكان هذا مؤثراً في الاقتصاد الكلّي للبلاد.

وبين أن العائلات التي تتشابه في جميع الظروف وتعيش في البلدان نفسها، تميل إلى الادخار بنسبة ٣٠٪ إذا كانت تتحدث لغة لا مستقبلية، والسر في ذلك -كما يعتقد (Chin) (تشين)- إنك إذا كنت تتحدث عن المستقبل طوال الوقت بصيغة الحاضر فسوف يجعلك ذلك واعياً بوجوده مثل الحاضر تماماً، وبالتالي سوف تفكر في أكثر من الشخص الذي يفرّق لغوياً بين الحاضر والمستقبل، فلدى الأخير تنعكس هذه التفرقة على تفكيره، وسلوكه ويصعب عليه أن يتمثل المستقبل في ذهنه كما يعي الحاضر (٢٢).

لعل هذه الفرضية وأمثالها، تنبهنا إلى أن سيرورة اللغة والإقبال عليها مرتبط في عصر العولمة بموضوع الجدوى الاقتصادية، والفرص الموعودة بل إن الحافز الاقتصادي والمنفعة وراء إقبال كثير من الناطقين بغير العربيّة إلى تعلمها.

(إن اتخاذ العربية الفصيحة، إذا لساناً لترويج المنتجات وبرامج الأطفال وترويج المسلسلات، المكسيكية والتركية، يأتي في سياق فلسفة العولمة، وخاصة مفهوم الليبرالية الجديدة التي تدعو إلى معاملة جميع الأنشطة الإنسانيّة، والمنتجات البشريّة بما هي سلع ووضعها بين يدي أصحاب المشاريع، والشركات

التجاريّة، لدمجها في السوق وإدارتها وتنميتها بشكل أفضل بيعاً وشراء...) (٢٣).

قد نرى في ذلك ملامح إيجابية، تدعم سيرورة اللغة الفصيحة على الألسنة، ونتجاهل تشابك العوامل التي تؤدي إلى ازدهار المستوى القيمي والجمالي والثقافي، الذي يحرر شبابنا من الاستلاب ويحفزهم على إنتاج مشاريع عربية تبرز الأمثال العربية والحكم والطرائف، وبدائع الخط العربي.

فهل يكفي أن نعتدَّ بالشعار الثقافي، وواقعنا الراهن مطية لاقتصاد الاستهلاك بامتياز؟ والمعجم العربي اليومي شبه أعجمي والاقتصادي يغلب الثقافي.

(يقفز اللغويون الذين يؤرقهم شيوع العجمة والعامية على الألسنة، وتغلغلها إلى تراكيب اللغة عن العامل الاقتصادي، ويتجاهلون تأثيره في زمن التسليع الثقافي "وليس هذا التجاذب بين السوق واللغة حديثاً، فمنذ العهود الإسلامية الأولى أطلق –النحوي زفرته اليائسة إذ رأى حمول التجّار مكتوباً عليها من أبو فلان إلى أبو فلان: سبحان الله يلحنون، ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح) (٢٤).

فهل انغلاق الخطاب اللغوي على المرجع الثقافي وحده يمكنّه من تحقيق الأمن اللغوي والثقافي المنشود؟ "إنّ اللغة بطبيعتها، لا تمثل قوة صانعة للأشياء .... وإنما اليد هي تفعل ذلك، واللغة لا تقدم إلا وصفاً لما يدور في النفس، ولما تفعل اليد وتصنع أما هي فلا تصنع شيئاً على وجه الحقيقة" (٢٥).

وبعد ... لعل السؤال، الذي يؤرقنا ونحن نتلجلج بين الواقع والمثال اللغوي والثقافي، باحثين عن ملاذ آمن من رياح العصر ومعطياته في الإعلان والإعلام، وهما مرهونان بالاقتصاد شأنهما شأن سائر المستحدثات التقنيّة. والاقتصاد مرجعه المنفعة، والعربية فيه محكومة بهذا المعيار. فهل سنستطيع اجتياز الامتحان الحضاري بنجاح؟ لتحقيق النهضة الحضارية المنشودة؟

لعل ترشيد الاقتصادي بالثقافي من العوامل الحاسمة في ترويج الفصحى، واستثمار ما فيها من سحر البيان، وإبراز قيم محتواها الجمالي وبعده الإنساني- والثقافة الحقّة إنسانية البعد- لتعزيز التنمية والإنتاج، وتطوير مناهج تعليمها، لترغيب الجيل بها في زمن قد لا يدري أبناؤه أن انسحابهم من العربية إلى الإنجليزية أو الفرنسية يشبه أن يكون منفى اختيارياً لا يلبثون أن يضيقوا به. فمن لا يعتد بالتواصل مع اللغة الفصحى، لا يكتسب ثقافة اللغات الأخرى بكفاءة اكتساباً سليماً، وإن أتقن التحدث بتلك اللغة لفظاً، فإنه سيظل غير قادر على تمثل مضمونها الفكري، لأن ما يقابلها عنده هو العاميّة.

وقد عبر عن ذلك المفكر العربي الأصل إدوارد سعيد أوضح تعبير، حينما قال لأحد أصدقائه بعيد محاضرة ألقاها في جامعة أكسفورد عام ١٩٨٣:

"هذا الرضى الذي أحصل عليه من أحاديثي التي تمتد من (أكسفورد) إلى كاليفورنيا لا يرضيني، لكن ما يرضيني هو أن أتحدث بالعربيّة في عالمنا العربي .... "(٢٦) إن اللغة العربية كما يراها وهو المتمكن من لغات عدة، هي أجمل لغات العالم، إذ إنها تشكل في بنيتها ونطقها متوازيات رشيقة، وهي أرسطية البنية والتركيب.

المراجع:

١. أنظر د. نهاد الموسى اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحوُّل ص ١٩ ط١ دار الشروق للنشر والتوزيع ٢٠٠٧ عمان.

٢. المرجع السابق ص١٩.

٣. المرجع السابق ص١٩.

٤. انظر البيان والتبيين. أبو عثمان عمر وبن بحر الجاحظ المجلد الأول –١– ٢ ج١ ص ٦٥ منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٥. انظر مقالة شفيق جبري بقايا الفصاح ص ٥٢١ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثالث المجلد ٤٧ جمادي الأولى ١٣٩٢ هـ، تموز (يوليو)، ١٩٧٢م.

٦. انظر مقالة شفيق جبري تطور اللغة في العصر العباسي ص ٢٥٤ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثاني المجلد ٤٥ المحرم ١٣٩٠ هـ نيسان إبريل ١٩٧٠م.

٧. انظر د. نهاد الموسى اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت، وقوى التحول ص ١٦ أنظر أيضاً كتابة النص في عالم متغيّر من انهيار السلطة اللغويّة إلى سقوط الأنساق الفكرية ندوة اللغة العربية والإعلام وكتابة النص ومنتدى الفكر العربي، ومجمع اللغة العربيّة الأردني ١٣/ ٩/ ٢٠٠٥ عمان ص٣.

٨. انظر د. نهاد الموسى العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول ص ٤٤-٤٥.

٩. اقتباس مقدمة معجم لسان العرب لابن منظور الإفريقي ص ٣٩ من المرجع السابق.

١٠. اقتباس من كتاب د. نهاد الموسى ص٣٩، مقدمة ابن خلدون ص٦٧٦.

× الطورانيون المتعصبون في أواخر الحكم التركي ص٣٩.

١١. أنظر د. نهاد الموسى العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول ص ٣٩-٤٠.

أنظر أيضاً مقدمة لدراسة اللغة وهُوية الأمة لناصر الدين الأسد، في النهوض العربي ومواكبة العصر مراجعة وتقديم (صلاح جرار مؤسسة عبد الحميد شومان – عمان- الأردن ٢٠٠٥ ص ٢٨،٢٩.

١٢. د. نهاد الموسى العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول ص ٤٠.

١٣. أنظر مقالة د. سحبان خليفات حياد التحليل اللغوي ص ٩٣ مجلة أفكار العدد ١٠٠ تشرين الأول، تشرين الثاني ١٩٩٠م.

١٤. المرجع السابق العدد ١٠٠ ص ٩٣ .

١٥. انظر د. أليس كوراني اللغة والمجتمع عند العرب الجاحظ نموذجاً ص٤٩. مجد المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر بيروت- لبنان ط١ ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣م.

١٦. المرجع السابق ص ٥٩.

١٧. البيان والتبين عمرو بن بحر الجاحظ المجلد ١-٢ ص ١٠٥،ج١.

١٨. المرجع السابق، ص ١٠٥.

١٩. المرجع السابق، ج١، ص ١٠٤.

٢٠. انظر د. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت، وقوى التحول ص٢٧.

٢١. Rassef .٢٢ /com/life/٢٠١٥/١١-١٥/

How- does your language affect- your thinking – process.

٢٢. الموقع الالكتروني السابق.

٢٣. انظر د. نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت، وقوى التحول ص ١٢١ وانظر د. فهمي جدعان رياح العصر (قضايا مركزيّة وحوارات كاشفة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ٢٠٠٢ م.

٢٤. انظر د. نهاد الموسى اللغة العربية في العصر الحديث ص ١٢٦.

٢٥. انظر د. فهمي جدعان المعطيات المباشرة للإشكالية الإسلاميّة المعاصرة ص٢٢ مركز الدراسات الإسلاميّة جامعة اليرموك ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

٢٦. انظر د. محمد شاهين، إدوارد سعيد مقالات وحوارات ص ٧، المؤسسة العربية بيروت لبنان ط١ ٢٠٠٤.